مجلة دراسات بيت المقدس، 2019، 19(1): 113–138
DOI: 10.31456/beytulmakdis.481654

التهويد ومخاطره على أوقاف مدينة بيت المقدس

وحيدة بوفدح بديسي*

ملخص: تتعرض مدينة بيت المقدس تحت سلطة الاحتلال الصهيوني يوميا للعديد من الانتهاكات التي تمس الجوانب القانونية والإنسانية، ولم تستثن سياسة الاحتلال من تلك الانتهاكات لا البشر ولا الحجر ولا الشجر، فكل شيء في المدينة المقدسة هدف مباشر للتهويد حتى المقابر، وفي ظل هذه السياسة الإجرامية تعاني الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس من وضع كارثي يهدد بتلاشيها، إن لم تتحرك جهود المخلصين الغيورين على المدينة المقدسة وتراثها التاريخي ووجهها الحضاري، في هذا السياق يأتي هذا البحث للكشف عن المخاطر التي تواجهها الأوقاف الإسلامية في مدينة بيت المقدس بسبب سياسة التهويد المبرمجة والمطبقة على المدينة المقدسة منذ احتلالها بل والمخطط لها من قَبل الاحتلال الفعلي بعقود. وقد استخدمت الباحثة المنهج التحليلي مستعينة بعملية الاستقراء، لتتبع جزئيات الموضوع وجمع المادة العلمية من مصادرها المختلفة، لتتوصل إلى مجموعة من النتائج تلخصها في النقاط الآتية: يعد التهويد الهدف الرئيسي لكل الخطط والسياسات التي يمارسها الاحتلال في مدينة بيت المقدس، وهو يسعى إلى محو كل أثر لغير اليهود في المدينة المقدسة وجعلها تبدو في صورة يهودية خالصة، وتشمل سياسة التهويد العديد من الإجراءات التي نتج عنها ثلاثة أنواع من التهويد: الجغرافي العمراني والديمغرافي والثقافي. كما وتتميز مدينة بيت المقدس بكونها مدينة وقفية بامتياز، تتنوع فيها الأوقاف وتتميز عن غيرها من الأوقاف الإسلامية في ربوع العالم الإسلامي بعدة ميزات. وقد تعرضت أوقاف مدينة بيت المقدس ولا زالت تتعرض إلى اعتداءات متكررة تسببت في تهديم العديد منها، ووضع اليد على البعض الآخر منها، والغرض من حملة التهويد التي تتعرض لها أوقاف مدينة بيت المقدس هو محو أهم أثر إسلامي يميز المدينة منذ قرون طويلة، ومن ثم إعطائها الوجه اليهودي الذي يدلل على مزاعم اليهود في أحقيتهم وحدهم بالمدينة المقدسة. كما ويعتبر المسجد الأقصى المبارك من أهم الأوقاف الإسلامية على الإطلاق في مدينة بيت المقدس، ولذلك فهو يتعرض لمحاولات تهويد لا هوادة فيها شملت إحراقه والقيام بحفريات واسعة تحته مما يهدد بتقويض أساساته. لذا إن مخاطر التهويد على أوقاف بيت المقدس لابد أن تواجه بجهود كبيرة ومنسقة بين مختلف الفاعلين (فلسطينيون، عرب، مسلمون، منظمات المجتمع الدولي خاصة المنظمات الثقافية والعلمية) لإنقاذ ما تبقى من تلك الأوقاف وكف يد الاحتلال الصهيوني عنها.

الكلمات المفتاحية: الاحتلال الصهيوني، بيت المقدس، الأوقاف، التهويد.

* جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة/ الجزائر، w.badissi2017@gmail.com

Judaisation and its danger on the Awqaf of Bayt al-Maqdis

ABSTRACT: *The city of Bayt al-Maqdis under the Zionist occupation is subjected daily to many violations that affect the legal and humanitarian aspects of the city. The policies of the occupier have affected everything in the holy city and their direct goal to Judaize everything even the graves. This catastrophically threatens to erase the identity of the city. If nothing is done, the holy city and its historical heritage and civilisation will seek to exist. This paper comes to uncover the dangers facing the Muslim Awqaf in the city. Judaisation has been applied systematically since the occupation of the holy city which had been planned many decades earlier. The researcher analytically traces the subject matter and collected the data from numerous sources and reached a set of results summarised in the following points: Judaisation is the main objective of all the plans and policies practiced by the occupation in the city, and seeks to erase all traces of non-Jews in the holy city and make them look purely Jewish. The policy of Judaisation had resulted in three types of Judaisation: Urban, demographic and cultural. The city is characterised as a city of Awqaf, and it varies from other Awqaf in the Muslim world with several features. The Awqaf of Bayt al-Maqdis has been subjected to repeated attacks, which caused the destruction of many of them, and the seizure of others. The purpose of the Judaisation scheme against the Awqaf of the city had been aimed to erase the most important Islamic identify that has characterised the city for centuries and to replace it with a Jewish one to lay claim to the holy city. Moreover, the Al-Aqsa Mosque is considered one of the most important Islamic Waqf in the city of Bayt al-Maqdis. Therefore, it is subjected to relentless attempts of Judaisation, including attempts to destroy it from burning it and carrying out extensive excavations beneath it, threatening to undermine its foundations.*

KEYWORDS: Zionist occupation, Bayt al-Maqdis, Awqaf, Judaisation.

مقدّمة

تتميز مدينة بيت المقدس بكونها الأرض المباركة، ملتقى الأنبياء والمرسلين، ومسرى النبي الخاتم عليه وعليهم أفضل الصلوات والتسليم، ومنها معراجه إلى السماء، إليها مهوى أفئدة ملايين الناس، وفيها أماكن عبادتهم ومقدساتهم، ولأنها كذلك فقد تنافس في تقديسها ووقف الأموال والعقارات فيها خلق كثير من الخاصة والعامة على مر الأزمان والعصور، فتعددت فيها الأوقاف وتنوعت مصارفها، حتى عدت المدينة المقدسة –بحق– المدينة الوقفية الأولى في العالم؛ لكثرة الأوقاف فيها، حيث ضمت أول وقف عرفه المسلمون بعد الفتوح الإسلامية الأولى، وظلت عبر العصور الإسلامية وعلى تعاقب الدول والخلفاء والملوك والسلاطين مدينة لتنامي الأوقاف وازدهار ريعها، إلى أن نكبت بأسوأ احتلال، فابتليت أوقافها الشريفة بالنهب والسلب ووضع اليد، عن طريق قوانين الضم والاستيطان وتهجير السكان، وممارسات الطمس والهدم والحفريات، وتشويه شكل المعالم وتغيير أسماء الأماكن والشوارع، وكلها ممارسات نابعة من سياسة مدروسة بدأت بوادرها بشكل سري تحت عين وسمع الاحتلال البريطاني، وبرزت واضحة

جلية للعالم بأكمله بعد الاحتلال الكامل للمدينة المقدسة عام 1967، إذ بدأت سلطات الاحتلال الصهيوني في تطبيق سياسة التهويد، التي تسعى إلى طمس كل ما له علاقة بهوية المدينة الحقيقية، مقابل خلق طابع جديد يجعل كل من يراها يعتقد أنها مدينة يهودية خالصة. وبما أن أكثر معالم المدينة المقدسة التي تبرز هويتها هي عبارة عن أوقاف متنوعة؛ فإن سياسة التهويد قد طالت العديد منها، ولعل أبرز مثال على ذلك هو هدم حارة المغاربة بما فيها من أوقاف متنوعة، وإلى اليوم تستمر محاولات التهويد بكل أنواعه مما يشكل خطرا داهما، قد يجعلنا نستيقظ ذات يوم على مدينة بهيكل وحائط ومعبد، ولا أثر فيها لقبة أو كنيسة أو مسجد. انطلاقا مما سبق يسعى هذا البحث إلى الكشف عن التهويد ومخاطره على الأوقاف الإسلامية.

وترجع أهمية البحث في هذا الموضوع إلى أهمية مدينة بيت المقدس ذاتها، ومن ثم أهمية كل القضايا المتعلقة بها، حيث تقع هذه المدينة موقعا مركزيا في وجدان الفرد المسلم والأمة الإسلامية، ذلك أنها أحد أهم المدن المقدسة للمسلمين مع مكة المشرفة والمدينة المنورة، بحكم أن فيها أولى القبلتين، وأنها القلب النابض للعالم الإسلامي، يقاس وضعه قوة وضعفا بوضعها تحررا أو احتلالا، وانطلاقا من هذه الأهمية تلقى البحوث والدراسات –المهتمة بهذه المدينة– على اختلاف أنواعها وتخصصاتها أهمية علمية كبيرة.

واقع التهويد في مدينة بيت المقدس

لم تلعب مدينة من المدن القائمة على وجه الأرض الدور الذي لعبته مدينة بيت المقدس في التاريخ، إنها وإن لم تكن من المدن التجارية الهامة ولا من المدن الزراعية أو الصناعية –رغم وقوعها بين البادية من الشرق والبحر من الغرب– إلا أنها كانت على مر الدهور مطمح أنظار الغزاة والفاتحين، فحوصرت مرارا، وهدمت تكرارا، وهجرت وأعيد بناؤها ثماني عشرة مرة في التاريخ، ولكنها بالرغم من ذلك كله ظلت قائمة في هذا الوجود وظل اسمها مذكورا في طليعة المدن والبلدان؛ ذلك لأنها مقدسة في نظر جميع الأديان، "وإنا لا نتعدى الحق إذا قلنا إن قدسيتها هذه كانت في أغلب الأحايين السبب في شقائها وفيما أصابها من رزايا ومحن".[1] ومدينة بيت المقدس من أهم مدن فلسطين، فهي بمثابة القلب من الجسد وهي أم المدن الفلسطينية وقراها، قال الجزري بن الأثير في تحديد بقعة فلسطين وبيان موقع مدينة بيت المقدس منها: "الكورة المعروفة فيما بين الأردن وديار مصر وأم بلادها بيت المقدس".[2]

وقد بناها اليبوسيون في حدود سنة 3000 ق.م، وأطلقوا عليها اسم "يبوس" نسبة إلى جدهم الأول الذي ينتمي إلى الكنعانيين الذين هاجروا من الجزيرة العربية واستوطنوا فلسطين في حوالي سنة 4000 ق.م، وفيها المسجد الأقصى الذي هيئ للعبادة بعد المسجد الحرام بأربعين سنة كما ثبت في

الحديث الصحيح.[3] وهي مهبط الملائكة ومبعث الأنبياء ومزارهم ومدفنهم، وهي البقعة المباركة التي أسري إليها بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ومنها أعرج به إلى السموات العلى.[4]

لقد تعرضت مدينة بيت المقدس –ولازالت– إلى عمليات تشويه وتخريب وتغريب وتهويد لمعالمها البشرية والعمرانية والدينية على حد سواء، على أيدي الكيان الصهيوني الغاصب منذ احتلالها الكامل سنة 1967. إن مظاهر التهويد والتصفية العرقية لم تقتصر على الاستباحة والاستيلاء على الممتلكات والأراضي والعقارات و"الترانسفير" وطمس الهوية ومصادرة الوجود الحضاري لشعب بأكمله، بل تعدت ذلك إلى تدمير المساجد والكنائس والمقابر الدينية، وكذلك تدنيس المقدسات وتدمير معالمها ومحتوياتها، وحرق المسجد الأقصى، والعمل على اقتلاع الوجود الفلسطيني من خلال محاربة وتدمير مؤسساته المدنية كالمدارس ودور العلم والمؤسسات الاجتماعية والخيرية والصحية والثقافية، عدا عن مصادرة حقه في العبادة حيث يمنع المصلون من دخول المساجد وخاصة المسجد الأقصى بحجج منع أعمال الشغب والمحافظة على الأمن. وقد عملت معاول الهدم والتشويه للاحتلال الصهيوني على زرع اليهود وأحيائهم في قلب مدينة بيت المقدس، وذلك على حساب الوجود العربي الإسلامي فيها، واتجهت برامج الاحتلال والغزو إلى عمليات التهويد العمراني والديني والديمغرافي، وكذلك عملت معاول التدمير الهمجية على تنفيذ برامج الحفريات واسعة النطاق بحجة البحث عن الآثار اليهودية برغم انعكاس تلك الحفريات على المساجد والمعالم الحضارية والمساكن والمتاجر هدما وتصديعا وخرابا.[5] فقد عمل الاحتلال الصهيوني منذ استيلائه الكامل على مدينة بيت المقدس عام 1967 على تغيير البنية الديموغرافية والدينية في المدينة؛ لتغييب الهوية الحضارية الإسلامية والمسيحية عنها لصالح الادعاء التاريخي لليهود بقدسيتها الدينية لديهم، وخصوصا ما يتعلق بإعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.

مفهوم تهويد بيت المقدس: التهويد هو عملية نزع الطابع الإسلامي والمسيحي عن بيت المقدس، وفرض الطابع الذي يسمى "يهوديا" وتهويدها هو جزء من عملية تهويد فلسطين ككل.[6] والتهويد هو استراتيجية صهيونية تمس الأرض والسكان والهوية الثقافية لمدينة بيت المقدس، حيث تحاول دولة الكيان الصهيوني من خلال إجراءات عديدة ومستمرة خلق واقع استباقي جديد لمحو أصالة بيت المقدس، عن طريق تغيير المعالم الجغرافية والثقافية والديموغرافية في المدينة المقدسة، محاولة طمس هوية ما تبقى من أصالة المكان.[7] ويعرف الشيخ عكرمة صبري[8] التهويد بقوله: "المراد بتهويد القدس أي إعطاء طابع لهذه المدينة بحيث أن الذي يدخلها أو يرى صورة من صورها ينطبع لديه تفكير أو تصور بأنها ذات طابع يهودي، لذا عمد اليهود بداية إلى محاولات طمس الآثار الإسلامية **والعقارات الوقفية** التي يعود تاريخها إلى الأمويين والأيوبيين والمماليك والأتراك."[9]

ويعد التركيز على تهويد بيت المقدس مسألة مركزية في الفكر اليهودي الصهيوني لما تمثله من أبعاد دينية وتاريخية، وقبل نشأة دولة الكيان الصهيوني بحوالي خمسين عاما قال تيودور هرتزل[10] مؤسس المنظمة الصهيونية العالمية: *"إذا حصلنا على مدينة القدس، وكنت لا أزال حيا وقادرا على القيام بأي عمل، فسوف أزيل كل شيء ليس مقدسا لدى اليهود فيها، وسوف أحرق جميع الآثار التي مرت عليها قرون."*[11] إن هذا الكلام وغيره من تصريحات القادة الصهاينة يؤكد على أن "القدس" هي قضية مركزية في الفكر الصهيوني، ولذلك جاءت كل الإجراءات على الأرض لتؤكد على ذلك.

إن التهويد عملية متكاملة ومخططة ينفذها الكيان الصهيوني منذ احتلاله البلدة القديمة أو شرقي بيت المقدس، وقد طالت هذه العملية عدة مستويات إدارية وسياسية وثقافية، وقد توجت في العام 1980 بوضع القانون الأساسي لمدينة "القدس الموحدة"، الذي اعتبرت بموجبه مدينة بيت المقدس عاصمة الكيان الصهيوني، مما يعني أن تكون فيها مقرات رئاسة الدولة والحكومة والبرلمان والقضاء. لكن التهويد لم يقتصر على مثل هذه الإجراءات والقرارات الفوقية، بل شمل تغييرات ديموغرافية وإدارية عميقة بدأت منذ اليوم الأول لاحتلال بيت المقدس والضفة الغربية وقطاع غزة في حرب العام 1967.[12] ولا تزال مستمرة إلى اليوم وليس آخرها نقل مقر السفارة الأميركية إلى بيت المقدس.

إجراءات التهويد الواقعة على مدينة بيت المقدس

اتخذت سلطات الاحتلال الإسرائيلي منذ احتلالها الشطر الغربي لمدينة بيت المقدس عام 1948 مجموعة من الإجراءات القانونية لفرض واقع جديد على المدينة وسكانها، ومضى الكيان الصهيوني في فرض ذلك الواقع مع الاحتلال الكامل للمدينة بشطريها الشرقي والغربي في أعقاب حرب 1967. وتجدر الإشارة هنا إلى أن عملية التهويد لم تبدأ فعليا باحتلال غربي القدس عام 1948 بل إنها بدأت قبل ذلك بوقت طويل، إذ ترجع أولى المحاولات مع بداية القرن التاسع عشر، ففي سنة 1807 شرعت الجماعات اليهودية في بريطانيا تمارس نفوذها للبدء بتنفيذ خطوات على طريق التهويد التدريجي. فتمكن موسى مونتفيوري،[13] بحكم منصبه كضابط في قصر الملكة فيكتوريا Victoria – ملكة إنجلترا– إذ كان يصاهر آل روتشيلد –أثرى أثرياء الأُسر اليهودية–آنذاك– من التأثير في فرنسا وإنجلترا؛ لممارسة ضغوطٍ على الدولة العثمانية لاستصدار فرمانات تسمح بإقامة مؤسسات يهودية في فلسطين، تأتي بيت المقدس في مقدمتها. وكنتيجة لهذه الضغوط المتواصلة تمكنت قوى الجماعات اليهودية من إقناع قناصل الدول المقيمين بالمدينة المقدسة من انتزاع (فرمانات) عدة لإقامة مثل هذه المؤسسات، لتصبح بيت المقدس هدفاً متميزاً للمطامع اليهودية الصهيونية، حتى قبل الإعلان –عملياً– عن هوية الحركة الصهيونية في 29 أغسطس 1897، في بال في سويسرا .

ويمكننا تلخيص القرارات والإجراءات المتخذة لتهويد المدينة المقدسة في مجموعة من النقاط وقد اتبعت الباحثة في ذلك تواريخ كل القرارات والإجراءات، سواء كانت صادرة عن الكنيست الإسرائيلي كقوانين تشريعية أو صادرة عن سلطة محلية "كبلدية القدس" أو عن سلطة أو قيادة عسكرية.

أولا: اتخذت حكومة الاحتلال الصهيوني في 1967/06/25 قرارا يقضي بسريان القانون الإسرائيلي على القدس العربية المحتلة، ومن أجل تغطية هذا القرار السياسي قانونيا أقر الكنيست في 1967/06/27 تعديلا لقانون أنظمة السلطة والقضاء لسنة 1948 وإضافة المادة 11"ب" التي تنص على: "يسري قانون الدولة وقضاؤها وإدارتها على كل مساحة من أرض إسرائيل حددتها الحكومة في المرسوم."

ثانيا: أقر الكنيست تعديلا لقانون البلديات (تعديل رقم 6 لعام 1967)، وقد منح هذا التعديل وزير الداخلية صلاحيات الإعلان عن توسيع نطاق بلدية ما بضم مناطق جديدة، وانطلاقا من هذه الصلاحية قام الوزير بإصدار مرسوم يوسع نطاق بلدية القدس.

ثالثا: أزالت سلطات الاحتلال الحواجز بين غربي "القدس" وشرقيها بتاريخ 1967/06/29، وفي اليوم نفسه صدر المرسوم الذي حل بموجبه المجلس البلدي العربي.

رابعا: قامت سلطات الاحتلال بإحصاء المواطنين في "القدس" بتاريخ 1967/06/26، ثم منحتهم الهويات "الإسرائيلية"، وقد انعكست هذه السياسة على مجالات مختلفة مثل: إلغاء سريان القوانين والمحاكم الأردنية، إلغاء النظام المالي الأردني، إلغاء البنوك العربية، فرض الضرائب، وفرض المناهج "الإسرائيلية" في بعض المدارس العربية، وضع مخطط هيكلي للمدينة بشقيها الشرقي والغربي.[14]

خامسا: إصدار قانون أساسي ينص على: "القدس عاصمة إسرائيل" سنة 1980، والذي نصّ على:

1- توحيد "القدس" وكونها عاصمة لإسرائيل.

2- "القدس" هي مقر رئيس الدولة والكنيست والمحكمة العليا.

3- ضمان حماية الأماكن المقدسة، وحرية العبادة والوصول إلى الأماكن المقدسة لجميع الأديان.

4- على الحكومة الاهتمام بتطوير القدس.

سادسا: بعد الإعلان عن توسيع حدود بلدية الاحتلال في بيت المقدس وتوحيدها بتاريخ 1967/06/28، وطبقاً لسياسة الكيان الصهيوني للسيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض مع أقل عدد ممكن من السكان العرب، رسم **رحبعام زئيفي**[15] حدود بلدية الاحتلال لتضم أراضي أكثر من 28 قرية ومدينة عربية وإخراج جميع التجمعات السكانية العربية لتأخذ هذه

الحدود وضعاً غريباً، فمرة مع خطوط التسوية (الطبوغرافية) ومرة أخرى مع الشوارع. وهكذا بدأت حقبة أخرى من رسم حدود بلدية الاحتلال، فاتسعت مساحة بلدية الاحتلال في القدس من (6.5 كم^2 إلى 70.5 كم^2) لتصبح مساحتها مجتمعة (الشرقية والغربية) 108.5 كم^2. ولتتسع مرة أخرى عام 1990 باتجاه الغرب لتصبح مساحتها الآن (123 كم^2).

أنواع التهويد في مدينة بيت المقدس

يسعى الكيان الصهيوني في سباقه مع الزمن إلى إنجاز مشاريعه التهويدية، وهو يدرك تماما ومن خلال التجربة، أن خير وسيلة للسيطرة والاستيلاء وتحقيق حلم "إسرائيل الكبرى" تتمثل في سياسة فرض الأمر الواقع، وقد تعددت الاستراتيجيات الصهيونية في خنق المدينة المقدسة وإضفاء الطابع اليهودي عليها من جميع النواحي الثقافية والديموغرافية والجغرافية؛ بمعنى أن هذه الممارسات التعسفية طالت الأرض والسكان والعقيدة والثقافة في المدينة المقدسة، ضاربة عرض الحائط جميع القرارات والقوانين الدولية التي تمنع ممارساتها الجائرة.

إن آليات التهويد هي أساليب شيطانية من أساليب التحريف والتزييف في مدينة بيت المقدس التي تتعرض للاعتداءات اليومية، من قبل سلطات الاحتلال الصهيوني ومن قبل الجماعات اليهودية المتطرفة التي تتحرك تحت حماية شرطة الاحتلال، وأهم وأخطر هدف من أهداف التهويد ليس فقط تزوير الواقع السياسي والديمغرافي، وإنما أيضا محو الهوية العربية والإسلامية للمدينة التي تأتي الأوقاف الإسلامية في واجهتها، واستبدالها بهوية يهودية بالإضافة إلى تهويد التعليم من الناحية الدينية والتاريخية بما يخدم المخططات الصهيونية.[16] وقد اتبعت السلطات الصهيونية عدة آليات لممارسة التهويد أدت إلى بروز الأنواع الآتية:

1. التهويد الجغرافي والعمراني.
2. التهويد الديمغرافي.
3. التهويد الثقافي.

ويدخل تحت كل نوع من هذه الأنواع الثلاثة مجموعة من السياسات والإجراءات والتعديات الصارخة على خصوصية المدينة المقدسة، لجعلها تكتسب طابعا يهوديا بحتا.

أ- **التهويد الجغرافي:** بدأت سلطات الاحتلال الصهيوني عمليات التهويد العمراني على نطاق واسع منذ اليوم الأول الذي احتلت فيه الشطر الغربي من مدينة بيت المقدس عام 1948، وعرف هذا النوع من التهويد انتشارا كبيرا بعد الاحتلال الكامل للمدينة المقدسة عام 1967، ويمكننا أن نرصد مظاهر هذا

التهويد بالتركيز على بعض القضايا العامة التي غذت ولا زالت التهويد العمراني وهي: مصادرة الأراضي، الاستيطان والحفريات، وهدم المنازل، جدار الفصل العنصري.

ب- **التهويد الديمغرافي:** سيطر الهاجس الديموغرافي على الاحتلال الإسرائيلي منذ استيلائه على مدينة بيت المقدس بأكملها سنة 1967، ومنذ ذلك الحين يسعى هذا الاحتلال لتحقيق أغلبية ديموغرافية يهودية حاسمة في المدينة بوصفها عاصمة "إسرائيل"، وقد سعى الاحتلال إلى تقليص نسبة السكان العرب إلى 22%، إلا أنه لم يتمكن من تحقيق تلك النسبة أبدا، ففي سنة 2008 كانت نسبة السكان العرب في القدس 35,2%، بنمو سكاني يصل إلى 3,7%، مقابل 1,6% لليهود، ومن المتوقع أن تصل النسبة إلى 40% إذا ما واصل الفلسطينيون والإسرائيليون نسب النمو نفسها.[17]

ت- **التهويد الثقافي:** يخلق التهويد في المجال الثقافي صراعا غير مسبوق على الهوية الحضارية لمدينة بيت المقدس، ويتجلى من خلال تهويد برامج التعليم، عن طريق محو كل ما له صلة بهوية المدينة العربية الإسلامية، كما يتجلى من خلال تغيير أسماء المعالم والأماكن في مدينة بيت المقدس من العربية إلى العبرية، حيث أن الأسماء التي تقابل الزائر عند مداخل المدينة، والمناطق الأثرية كلها مكتوبة باللغة العبرية وهذا يخلق انطباعا بأنها يهودية منذ قرون.

الأوقاف الإسلامية في مدينة بيت المقدس وأهميتها

قبل أن نتعرف على أوقاف بيت المقدس لابد من أن نشير باختصار إلى مفهوم الوقف في الإسلام وأهميته وآثاره الاجتماعية والاقتصادية والثقافية.

مفهوم الأوقاف، وأهميتها وآثارها

الوقف في اللغة من الفعل وقف، والوقف والحبس والتسبيل بمعنى واحد، ويطلق الوقف ويراد به الموقوف، من باب إطلاق المصدر والمراد اسم المفعول. أما في الاصطلاح يعرف الوقف بأنه: حبس العين عن أن تملك لأحد من العباد، والتصدق بمنفعتها ابتداء وانتهاء، أو انتهاء فقط.[18] وينقسم الوقف إلى ثلاثة أقسام هي: الوقف الخيري، الوقف الأهلي، الوقف المشترك.

1. **الوقف الخيري:** هو ما كان ابتداء على جهة من جهات البر والخير التي لا تنقطع، وهو الذي يقوم على حبس عين معينة على أن لا تكون ملكا لأحد من الناس، وجعلها وريعها لجهة من جهات البر لتعم جميع المسلمين، ويدخل في هذا الوقف الفقراء والمساكين واليتامى، وبناء المساجد والمدارس والمشافي، وكل ما يحقق الخير لعامة المسلمين.[19]

2. **الوقف الأهلي**: هو ما جعل أول الأمر على معين سواء أكان واحدا أم أكثر، وسواء أكانوا معينين بالذات، أم معينين بالوصف، ثم من بعدهم إلى الفقراء، ولذلك يطلق بعض الباحثين على هذا النوع من الوقف اسم الوقف الذري، نسبة إلى الذرية.[20]
3. **الوقف المشترك**: وهو الوقف الذي يجمع بين النوعين السابقين الخيري والأهلي، وهو الذي تم ابتداء على الذرية وعلى جهة من جهات البر في وقت واحد، بمعنى أن الواقف قد جمعهما في وقفه، فجعل لذريته نصيبا من العين الموقوفة وللبر نصيبا محدودا أو مطلقا في الباقي أو العكس.[21]

بدأت حركة الوقف في العالم الإسلامي منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، الذي حث أصحابه على الصدقة الجارية ودلهم على أبواب الإنفاق المتعددة، وظلت تلك الحركة في تنامٍ وتزايدٍ طوال التاريخ الإسلامي، اعتنى بها الحكام والسلاطين والوزراء والولاة والعلماء والحكماء وعامة المسلمين إلى عصرنا هذا، مما انعكس على مجالات الحياة المختلفة، وعلى فئات المجتمع كلها، حتى غير المسلمين في المجتمع الإسلامي، وقد ساهم الوقف بأنواعه الثلاث في حركة النمو الاقتصادي وعزز مظاهر التكافل الاجتماعي، وأسس لنهضة ثقافية وعلمية لم تعرفها الحضارات من قبل، إذ بدأ الوقف أول ما بدأ على المساجد وبما أن هذه الأخيرة لم تكن مكانا للصلاة والاعتكاف فقط، فإن الأوقاف عليها شملت المجالات التعليمية والعلمية كالكتاتيب وتحفيظ القرآن وتلقي العلوم المختلفة والإنفاق على العلماء والطلاب، مما ساهم في انتشار التعليم واستقلاليته.

ويمكننا تلخيص بعض آثار الوقف –إذ يتعذر الإشارة إلى كل تلك الآثار في جميع المجالات في هذه الورقة المحدودة– التي تبرز أهميته في المجتمع الإسلامي فيما يأتي:

- تحقيق العدالة الاجتماعية: عن طريق تقليص الفوارق الطبقية بين فئات وشرائح المجتمع المختلفة.
- توسيع نطاق التكافل والتضامن الاجتماعي: حيث أن الوقف شرع أساسا لتحقيق مقصد وحدة المجتمع الإسلامي بإشاعة مظاهر التضامن والتكافل بين أبنائه.[22]
- صيانة وترميم الآثار الوقفية: مما يساهم في تشجيع السياحة الوقفية، وهذا يرتبط بصفة خاصة بالأماكن المقدسة وفي مقدمتها بيت المقدس الإقليم/ المدينة.
- تمويل مشاريع البحث العلمي والمنح الدراسية: عن طريق تخصيص صناديق وقفية تواكب وترعى حركة البحث العلمي والباحثين المبدعين.[23]
- فتح مناصب شغل والمساهمة في القضاء على مشكلة البطالة: إذ أن أي مشروع وقفي يحتاج إلى مجموعة من العاملين لإدارته وتسييره والقيام عليه، وكلما كان المشروع الوقفي كبيرا ومتعدد المهام كلما عظمت مساهمته في تشغيل الشباب بصفة خاصة.

بالإضافة إلى ما سبق ذكره يمكن القول أن بإمكان الوقف الإسلامي في عصرنا الحالي أن يؤدي العديد من الأدوار في تطوير وتنمية المجتمع، وأننا في هذا العصر بحاجة إلى تفعيل دور الوقف لكي يرجع إلى سابق عهده في خدمة المجتمع الإسلامي اقتصاديا واجتماعيا وعلميا وثقافيا.

الأوقاف في مدينة بيت المقدس: دوافعها ومميزاتها وأهمها

تعد مدينة بيت المقدس مدينة وقفية في عمومها، إذ تزخر بالعديد من الأوقاف، ومعظم الأوقاف في إقليم بيت المقدس توزعت بين الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى في أعداد هائلة يليها المسجد الإبراهيمي وما يقع في أكناف بيت المقدس من مدارس وزوايا وتكايا وجوامع كثيرة...[24]

دوافع وأسباب وجود الأوقاف وكثرتها بمدينة بيت المقدس

لعل السبب الرئيسي في وجود المئات من الأوقاف والأحباس الإسلامية في المدينة المقدسة يعود إلى جملة من العوامل الأساسية، من أبرزها:[25]

- وجود عشرات النصوص الشرعية (قرآن وسنة) التي تؤكد مكانة المدينة المقدسة، وهي بلا شك تمثل تواترا معنويا في بيان عظمة المكانة الشرعية لمدينة بيت المقدس، ولعل أبرز الأوقاف في المدينة المسجد الأقصى.
- احتواء مدينة بيت المقدس وما حولها على أضرحة الكثير من الأنبياء والرسل الكرام، وهناك أبنية وآثار إسلامية بناها خلفاء المسلمين وسلاطينهم وحكامهم وغيرهم. جاء في صبح الأعشى: "بعث به الكثير من الأنبياء عليهم السلام وفيه ضرائحهم الشريفة"[26]
- وجود مقامات للعديد من الصحابة، ومن أبرزهم شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت، ومن الجدير بالذكر أن مقبرة مأمن الله ببيت المقدس مدفون فيها 13 صحابيا رضي الله عنهم.
- وجود العشرات من زوايا الصوفية والتكايا، فهناك الخانقاه الصلاحية والخانقاه الداودارية والخانقاه الفخرية، وزاوية الشيخ بدر الدين الحسيني، إذ في مدينة بيت المقدس وحدها أكثر من 15 زاوية.
- وجود العشرات من المدارس التاريخية الأثرية التي أنشأها المسلمون عبر التاريخ الإسلامي، كالمدرسة المأمونية ومدرسة قايتباي والمدرسة التنكزية والمدرسة العمرية والمدرسة الأشرفية والمدرسة المزهرية، بل يمكن القول أن التعليم في بيت المقدس استمر بفضل الأوقاف، في ظل هجمات المغول والصليبيين. وقد أحصى الدكتور كامل العسلي عدد المدارس الموقوفة في بيت المقدس ابتداء من القرن الخامس الهجري حتى القرن 12 هجري فوجدها حوالي سبعين مدرسة، منها أربعون في العصر المملوكي.
- وجود العديد من نفائس المخطوطات والكتب والمؤلفات التي تعود إلى الحضارة العربية الإسلامية.
- اهتمام حكام المسلمين ورجالاتهم بالعمارة الإسلامية.

- إن الحركة الوقفية في بيت المقدس كانت حركة اجتماعية بامتياز، فقد شملت كل الفئات الاجتماعية فالمرأة كان لها نصيب واضح في التعامل مع الأوقاف، سواء كانت واقفة أم مشتركة أم ناظرة للوقف.

هذه العوامل بلا شك عززت الأوقاف بطريقة مكثفة من جيل إلى جيل، فكان أن تراكمت الأوقاف في المجتمع المقدسي، حتى صارت ثقافة للفرد وللمجتمع باعتبار أن هذه الأوقاف وهي المئات من العقارات والأراضي الزراعية والبساتين كانت مخصصة للصرف على المدينة ومساجدها ومدارسها.

مميزات الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس

لفت انتباه الباحثة من خلال البحث في أوقاف بيت المقدس أمر في غاية الأهمية له العديد من الدلالات، وهو أن الجوامع والمدارس والتكايا داخل المدينة المقدسة أوقفت عليها وقفيات من خارج المدينة سواء من محيطها الداخلي في فلسطين كغزة ويافا وقرى ومدن أخرى عديدة، أو من المحيط الخارجي في مختلف بلاد العالم الإسلامي خاصة بلاد الشام ومصر وحتى بلاد المغرب، وفي هذا دلالة قاطعة على اللحمة الشديدة والعرى الوثيقة التي تربط مدينة بيت المقدس بمحيطها القريب في بلاد فلسطين ومحيطها الأوسع والأشمل الذي يضم بلاد العالم الإسلامي كلها، فأوقافها تؤكد على أنها بمثابة القلب للعالم الإسلامي وأنها مركز البركة منه، الذي إليه تجبى خيرات أوقاف المسلمين لتصرف في مجالات شتى علمية وثقافية واجتماعية وإنسانية... لخدمة المركز المبارك. ومثال ذلك وقف خاصكي خاتون وهو عبارة عن تكية ولقد شمل قرى ومزارع، وعقارات موقوفة على هذه المنشآت التي يطلق عليها اسم التكية، ويبلغ عدد القرى والمزارع التي أوقفت حوالي ثلاثين قرية ومزرعة في أربعة ألوية هي لواء غزة والقدس ونابلس وطرابلس وأكثر القرى الموقوفة كانت في ناحية الرملة بلواء غزة وكانت تضم ست عشرة قرية.[27]

وكذلك المدرسة الأشرفية التي بناها الأشرف قايتباي وأوقف عليها قرى بربر جولس ودمر النجد، بيت عفا، أخصاص عجلان "غزة"، قرية جليدة، سكرية القاضي وقرى أخرى عديدة وعدد من المزارع وخان وحوانيت خان بظاهر غزة وطواحين وسوق التركمان، ومن حجم الأوقاف التي بلغت ثلاثة وخمسين وتنوعها يتضح أن دخل الوقف كان كبيرا مما يدل على حجم الأنشطة التعليمية الموقوفة عليه، وللسلطان وقف على مدرسته وجامعه أوقف عليه قرى وفرن خبز وقطعة أرض تعرف بأرض السكى الآن تعرف بأبو رقية.[28] أما أهم ما يميز أوقاف مدينة بيت المقدس فيمكننا تلخيصه في المميزات الآتية:[29]

- تنقسم الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس إلى قسمين: أوقاف على الحرمين الشريفين بمكة والمدينة وأوقاف على المسجد الأقصى وعلى قبور الأنبياء بإقليم بيت المقدس خاصة المسجد الإبراهيمي في مدينة الخليل، وهي إما أوقاف مباشرة خصصت لتلك الأماكن بأن يوقف الواقف على نفسه وعلى أبنائه وذريته من بعده وفي حالة انقراضهم يؤول الوقف لتلك الأماكن، كذلك كانت هناك أوقاف على

المساجد وعلى مقابر الأولياء وبعض الأمراء والأثرياء أوقفوا على قبورهم وقراءة القرآن لهم، وأحيانا يلحق بها كتاتيب لتعليم الصبيان والفقراء، بالإضافة إلى خانقاوات الصوفية التي جرى إيقاف الأوقاف عليهم إلى العصور الفاطمية، والأيوبية والمملوكية والعثمانية، وكأوقاف الحرمين كان الوقف مباشرة على المسجد أو الخانقاه وأحيانا بعد انقضاء السلالة.

- جرى إيقاف الأوقاف في مدينة بيت المقدس على فئات معينة، كزاوية وحارة المغاربة، وزاوية الهنود ووقف الهكارية الذي أوقفه صلاح الدين الأيوبي على أحد قواده.
- تعددت جنسيات الواقفين فهناك أوقاف عربية للصحابة، ثم أوقاف للحكام الفاطميين ثم أوقاف أوقفها صلاح الدين الأيوبي والأيوبيون، ثم أوقاف أوقفها المماليك، ثم أوقاف أوقفها العثمانيون، كما تعددت الفئات الوظيفية للواقفين من سلاطين وأمراء وقادة عسكريون وعلماء وأثرياء وأعيان، كما تنوعت أنواع الموقوفات، من أراضي وعقارات وأموال وبساتين وحمامات وخانات، وساهم في الوقف ببيت المقدس النساء أيضا فاشتهرت بعض أوقافهن شهرة تكاد تفوق شهرة أوقاف الرجال، ومثال ذلك وقف خاصكي سلطان زوجة السلطان العثماني سليمان القانوني.
- ترددت أسماء بعض الأسر واشتهرت بأوقافها العديدة وعلى فترات زمنية مختلفة ببيت المقدس كالهكارية، وأسرة الدونداري والعلمي والحسيني التي استمر تواجدها إلى اليوم، واشتهرت أسماء أبنائها من علماء وفقهاء وكبار الإداريين.
- استمرت بعض الأوقاف ببيت المقدس طوال عصور مختلفة، ولكن في فترات الضعف التي أصابت الدولة العثمانية أو نتيجة لازدياد النفوذ الأجنبي متمثلا في الجاليات الأجنبية وقناصلها تمت مصادرتها لصالح تلك الجاليات كمدرسة الناصر صلاح الدين ووقف خاصكي خاتون.
- أدت الأوقاف ببيت المقدس إلى ازدهار الحياة العلمية فيها، وقد انعكس ذلك على الأمة الإسلامية بأكملها، كما عكست صور النشاط الاقتصادي الكبير بما أوردته عن المعاصر والمطاحن والخانات والمزارع وإنتاجها، ونسبة الدخل منها وأسماء التجار والحرف، كذلك عكست مدى الاهتمام على المستوى العام بالمؤسسات الدينية ومساهمة أفراد المجتمع في إقامة المنشآت العامة والأنشطة الإنسانية كالبيمارستانات والاهتمام بالمسجونين والأرامل والأيتام...الخ.

أهم الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس

تنوعت الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس ويمكن تصنيفها إلى: أوقاف على المسجد الأقصى وكل ما يتعلق به، أوقاف على قبور الأنبياء عليهم السلام، أوقاف على المؤسسات التعليمية (المدارس، كتاتيب تعليم الأطفال)، أوقاف على المساجد والمقابر، أوقاف على الزوايا والخانقاوات وأربطة الصوفية.[30] وفيما يلي أمثلة ونماذج عن أوقاف مدينة بيت المقدس، إذ يصعب حصرها كلها.

المسجد الأقصى: على صعيد الأوقاف المحبوسة للمسجد الأقصى نجد أن الكثير من الحكام والسلاطين قد اهتموا بها و"وقفوا أوقافا على مصالحه"،[31] ومن بين تلك الأوقاف: سوق لبيع الخضر، وآخر لبيع القماش،[32] وخان سوق الطباخين ، الذي كان يؤجر في السنة بنحو أربعمائة دينار، ويباع فيه أصناف البضائع.[33]

المدارس: أوقفت بمدينة بيت المقدس العديد من المدارس، ولذلك نجد نظام التعليم في المدينة المقدسة كان قائما على الأوقاف أساسا، وقد أوقفت المدارس وأوقفت عليها الأوقاف المتنوعة كمورد لإدارتها ودفع مرتبات المعلمين والعلماء والتكفل بطلبتها (مسكنهم ومأكلهم)، واشتهرت في فترات تاريخية متعددة مدارس أوقفها سلاطين وأمراء ووزراء كالمدرسة الصلاحية التي أوقفها السلطان صلاح الدين الأيوبي، والمدرسة المعظمية (الحنفي) التي أوقفها السلطان المعظم عيسى بن الملك العادل سنة 614هـ، وكانت من المدارس الشهيرة في القرنين الثامن والتاسع، ولا تزال أنقاضها قائمة إلى اليوم على الجانب الشمالي من طريق المجاهدين،[34] والمدرسة الأمينية شمالي المسجد الأقصى التي أوقفها الوزير أمين الدين عبد الله سنة 730هـ وما يزال مبناها قائما إلى اليوم وهو وقف لآل الإمام.[35]

فالمدرسة الصلاحية الكبرى: تعد من أهم المدارس ببيت المقدس بناها السلطان صلاح الدين الأيوبي سنة 1192 ووقفها على الفقهاء من المذهب الشافعي، وتقع قرب باب الأسباط في الجهة الشمالية من الحرم القدسي، وقد أوقف عليها السلطان صلاح الدين أوقافا عديدة لخدمتها وترميمها، ومنها قرى سلوان وصوبا والقسطل وأراضي زراعية في الجسمانية، القحف الوهداني، بستان بئر أيوب، بستان الجورة في حارة المغاربة، وبستان في حارة باب حطة، كل حارة اليهود ومبان مثل حمام الأسباط، و94 دكانا من دكاكين المدينة، وعدد من دورها، وخان وفرن بباب حطة، ومدابس وطواحين، وقطعة أرض استخدمت كمقبرة لليهود تقع بمدينة بيت المقدس، فجميع هذه الأوقاف كانت تقدم إيراداتها لخدمات المدرسة الصلاحية ونشاطها العلمي.[36] وكان ممن تولى مشيخة هذه المدرسة العظيمة شيوخ تولوا منصب مفتي المذهب الحنفي أو المذهب الشافعي، مما يدل على القيمة العلمية المرموقة لها.[37]

والمدرسة الجوهرية: التي وقفت –استناداً إلى سجلات محكمة القدس الشرعية– سنة 843هـ/1439م ودمرت إثر زلزال سنة (954هـ/1547م)، وأعيد قيد حجة وقفها في 25 جمادى الثاني 1002هـ/آذار 1594م)، وعمرها السيد عبد الرحمن أفندي، مفتي الحنفية بالقدس ومتولي أوقافها في 26 ربيع الأول 1093هـ/4 نيسان 1682م، ما أضفى طابعاً معمارياً عثمانياً على الطابق العلوي منها تحديداً، ويظهر من حجة تعميرها أنها اشتملت على جامع ومطبخ، وإيوان وعدة غرف. أما أوقافها، فتشمل في غزة قرية زيتون وحصصاً في قرية كوفيا.كما تشمل قريتي طولكرم التابعة إلى قاقون، وتقوع

التابعة لبيت المقدس. ووفق دفاتر مفصل لواء القدس الشريف العائدة إلى القرن (10هـ/16م)، بلغ ريعها أكثر من 16,000 آقجه، صرفت على تعميرها وعلى موظفيها والمستفيدين من الوقف.[38]

والمدرسة العثمانية: أسست هذه المدرسة ووقفتها اصفهان شاه خاتون بنت محمود العثمانية، وتقع في باب المتوضأ إلى الغرب من ساحة المسجد الأقصى، ووقفت عليها أوقافا ببلاد الروم وبلاد الشام، ومن أوقافها قرية كفر قرع في لواء نابلس. وقد كانت المدرسة العثمانية من المدارس ذات المكانة العلمية الكبيرة في بيت المقدس، وبلغت هذه المدرسة شأنا كبيرا منذ نشأتها في القرن الرابع عشر ميلادي وحتى نهاية القرن الثامن عشر، ويبدو ذلك جليا في بعض شروط الوقفية، إذ اشترط فيمن يتولاها أن يكون أعلم أهل زمانه.[39]

والمدرسة الخاتونية: التي تقع بين باب الحديد وباب القطانين غربي الحرم، أوقفتها أغل خاتون بنت شمس الدين محمد، ووقفت عليها المزرعة المعروفة بظهر الجمل، ثم أُكملت عمارتها، ووقفت أصفهان شاه بنت الأمير قازان شاه وقفاً عليها، في سنة 782هـ/1380-1381م.[40] وقامت هذه المدرسة بدورها في الحركة الفكرية عدة قرون.

الزوايا: انتشرت ببيت المقدس العديد من الزوايا الوقفية، وربما يعود ذلك إلى كثرة الوافدين على المدينة المقدسة من المسلمين من شتى أقطار العالم الإسلامي؛ لأغراض طلب العلم وتعلم الطريقة الصوفية وزيارة الحرم الشريف. ومن بين أشهر الزوايا ببيت المقدس زاوية المغاربة، تقع في حارة المغاربة بالحرم القدسي الشريف، أوقفها الشيخ عمر المصمودي على الوافدين من ديار المغرب العربي.[41]

المكتبات: ولأن مدينة بيت المقدس كانت مركزا علميا مهما لانتشار المدارس والزوايا والمساجد العامرة، فقد أوقف كثير من الفضلاء والعلماء المكتبات التي ضمت الكثير من المصاحف والكتب في مختلف التخصصات العلمية، ومن أهم المكتبات الوقفية ببيت المقدس: مكتبة المدرسة (الخانقاه) الفخرية التي وقفها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله المتوفى سنة (1331م). وكانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية التي وصل عددها عشرة آلاف مجلد.[42]

الأوقاف التي استهدفها التهويد بمدينة بيت المقدس

تتعرض مدينة بيت المقدس منذ احتلالها على يد العصابات الصهيونية إلى حملة شرسة واستراتيجية محكمة من أجل طمس كل معالمها العربية الإسلامية والمسيحية، وإعطائها طابعا يهوديا يجعل من يدخلها أو يراها يعتقد أنها مدينة يهودية خالصة منذ فجر التاريخ، وتتم مخططات التهويد منذ عقود في إطار سري أحيانا وعلني في أحيان أخرى، في ظل صمت دولي مطبق، وانشغال عربي وإسلامي عن هذه القضية المركزية الخطيرة، التي تهدد مستقبل التواجد العربي، كما تندر بمسح كل آثار التواجد المسيحي والإسلامي

في مدينة بيت المقدس، وقد ظهر ذلك جليا في استهداف الأوقاف الإسلامية والمسيحية معا، إذ تعرضت العديد من الأوقاف الإسلامية إلى وضع اليد سواء كانت أوقافا ذرية أو أوقافا خيرية، إذ لم يفرق الاحتلال بين ممتلكات الأشخاص والممتلكات العامة، ولم يلتفت أحد لاستغاثة أصحاب المنازل والعقارات الوقفية، التي تعرضت للمصادرة والهدم ومن ثم الاستيطان في سياسة قمعية توسعية لم يعرف لها التاريخ مثيلا. يلخص الشيخ عكرمة صبري وضع الأوقاف الإسلامية في مدينة بيت القدس بقوله:

> البلدة القديمة في مدينة القدس وأكنافها المعروفة إنما هي كلها وقفيات بمقدساتها وجميع مبانيها وعقاراتها... إلا أن السلطات الإسرائيلية المحتلة تحاول أن تقلص من صلاحيات الأوقاف لتمهيد الأمر لما خفي بهدف وضع اليد على إدارة المسجد الأقصى وبطريقة تدريجية لا تنقصها الخديعة ولكن لا يغيب عنها العنف والتهديد

مبيان يمثل تقسيم مساحة الجزء الشرقي المحتل من مدينة بيت المقدس سنة 1967

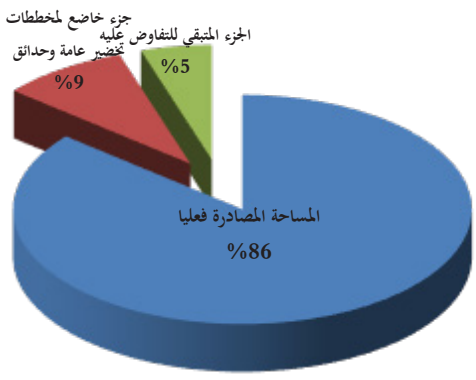

في الشكل أعلاه يتضح لنا تقسيم أراضي مدينة بيت المقدس مباشرة بعد احتلالها الكامل، حيث تمت مصادرة أغلب مساحتها مما يشمل الأراضي الوقفية وغيرها، وفور الانتهاء من عمليات المصادرة والهدم عام 1967 أخذت سلطات الكيان الصهيوني بإقامة تجمعات أو أحياء سكنية يهودية فيها، وقامت ببناء سوق تجارية وكنيس للصلاة. وقد جاءت عمليات الاستيطان العاجلة داخل البلدة القديمة مصاحبة لإجراءات التصفية الحضارية والتهويد الأخرى، وعلى رأسها توسيع ساحة حائط البراق على حساب العقارات الوقفية الإسلامية، والشروع في عمليات الحفر تحت الحائطين الغربي والجنوبي للمسجد الأقصى.[43]

وهنا سنشير إلى أمثلة عن الأوقاف التي استهدفتها سياسة التهويد الصهيوني، وكيف تحولت تلك العقارات والأراضي والمنشآت من أملاك وقفية إلى مؤسسات تابعة للاحتلال، أو مناطق تم هدمها بالكامل وإقامة منشآت بديلة محلها، ويمكننا توثيق الاعتداءات على أهم الأوقاف في بيت المقدس في النقاط الآتية:

الأراضي الوقفية: التي كانت على خطوط الهدنة والتي عرفت بأراضي No Mans Land، أي التي لا يملكها أحد حسب نص اتفاقية الهدنة، أي أنها لم تدخل ضمن المناطق الإسرائيلية أو العربية في اتفاقية الهدنة، على سبيل المثال أرض جبل المكبر التي كان يشغلها المندوب السامي وأصبح يشغلها ممثل الأمين العام للأمم المتحدة في بيت المقدس، وهي أراض وقفية لعائلتي الدجاني وأبو السعود، والأراضي في منطقة مندلبوم والتي أقام عليها الإسرائيليون مبنى الهستدروت الذي أصبح مركزا صحيا الآن، كما أقاموا عليها الفنادق الثلاث الكبرى في تلك المنطقة على غير وجه حق. وكذلك الأرض التي قام عليها الحي الاستيطاني الأول في القدس، حي أشكول. وهذه تحتاج إلى معالجة دولية حيث أن حارس أملاك الغائبين الإسرائيلي لم يكن له أية سلطة عليها.[44]

المسجد الأقصى المبارك: كان الوقف ولا يزال هو المصدر الرئيس والأول في بناء المساجد في كل مكان، فالمساجد ما هي إلا منشآت وقفية لا تقتصر على إقامة الصلوات فقط بل هي مراكز للتربية والتعليم. وكان إقليم بيت المقدس، وما زال مشهورا بمساجده، وفي مقدمتها المسجد الأقصى، الذي وصفه ابن حوقل بقوله: "ليس في الإسلام مسجد أكبر منه"،[45] وهو أحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ورد في الصحيح: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى".[46] ويعود بناء هذا المسجد إلى العصور الإسلامية الباكرة، وجُدد بناؤه في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان،[47] "والأقصى اسم لجميع المسجد مما دار عليه السور وذكر قياسه هنا طولا وعرضا، فإن هذا البناء الموجود في صدر المسجد وغيره من قبة الصخرة والأروقة وغيرها محدثة والمراد بالمسجد الأقصى هو جمع ما دار عليه السور"[48] وهذه لفتة مهمة وخاصة في عصرنا الحالي حيث يركز الإعلام – بطريقة مبرمجة- خلال عرضه للمسجد الأقصى على أن قبة الصخرة أو المسجد القبلي، هو المسجد الأقصى، حتى لا ينتبه الناس إلى حقيقة الخطر الذي يهدد المسجد الأقصى. وأكبر خطر يهدد المسجد الأقصى في إطار محاولات التهويد لا يتمثل في إجراء واحد، وإنما في سلسلة من الإجراءات والمخططات التي تسعى إلى تقويضه تماما وبناء الهيكل المزعوم في مكانه، ويمكننا تلخيص تلك الإجراءات في مجموعة من الخطوات:[49]

- قدمت ثلاث جمعيات استيطانية طلبا لتحويل المدرسة العمرية الواقعة في الزاوية الشمالية الغربية للمسجد الأقصى إلى كنيس يهودي، أو السماح لليهود بأداء صلاتهم فيها.
- تسعى الجماعات اليهودية التي تطمح لبناء الهيكل لإعداد فانوس من الذهب شبيه بالذي استخدم في عهد الهيكل الثاني، واستخدم 42 كغ من الذهب الخالص في صنعه، بكلفة تزيد عن مليون دولار.
- أعلنت محافل يمينية يهودية خلال اجتماع حاشد في بيت المقدس "القدس الغربية" عن إطلاق حملة دعائية واسعة، تستهدف حشد وتأييد المتطرفين لإعادة بناء الهيكل المزعوم.
- وضع مجموعات يهودية لمخططات عملية لتدمير المسجد الأقصى وبعض السيناريوهات تشير إلى إمكانية التسلل إليه وتفجيره عبر استخدام تقنيات متقدمة.
- التخطيط لقذف مواد مشعة ذات فعالية كبيرة جدا تؤدي إلى قتل المصلين وفي الوقت نفسه تؤثر على جدران المسجد الأقصى ، وتم الحصول على تلك المواد من الولايات المتحدة الأمريكية.
- تعبئة اليهود في تجمعهم الصهيوني، وفي مختلف أوطانهم على شعار إعادة بناء هيكل سليمان، وتسمية الحرم المقدسي بـ "جبل الهيكل".

ويُعد المسجد الأقصى من أهم الأماكن المقدسة التي تضم العديد من الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس، ولذلك نجد الوقف بنوعيه الذري والخيري هو ما يطبع المدارس والبيوت والأسبلة والحمامات والخانات والزوايا والحارات في المسجد الأقصى ومحيطه. وفي إطار سياسة التهويد التي تتبعها سلطات الاحتلال الصهيوني عرفت الأوقاف في محيط المسجد الأقصى العديد من الاعتداءات الهادفة إلى تغيير طابع المدينة المقدسة، والرامية إلى خلق واقع جديد يستبدل الهيكل بالمسجد، كما أصدرت المحكمة الصهيونية العليا في 1993/9/23م قراراً عدت فيه المسجد الأقصى جزءاً من مساحة الدولة الصهيونية، تسري عليه أحكام تشريعات دولتهم، بما فيها التخطيط والبناء والآثار.[50] وقد تعرض المسجد الأقصى منذ عام 1967 إلى أكثر من عشرين اعتداء تراوحت بين التدمير والهدم والإحراق وإطلاق الرصاص وحفر الأنفاق.[51]

حارة المغاربة: حارة المغاربة أبرز الأوقاف الإسلامية التي طالتها يد التهويد مباشرة بعد الاحتلال الكامل لمدينة بيت المقدس، وحارة المغاربة هي وقف إسلامي أوقفها الملك الأفضل بن السلطان الناصر صلاح الدين الأيوبي بعد فتحه لمدينة بيت المقدس وتحريرها من الصليبيين لصالح المجاهدين المغاربة الذين انضموا لجيش التحرير وبقيت باسمهم، وعلى مر الزمان انتشرت فيها الأوقاف المتعددة من مدارس وأبنية ومصليات وزوايا وغيرها. وحاول اليهود اغتصاب أجزاء من المسجد الأقصى حيث سبق أن أوقف الملك الأفضل بن أخ صلاح الدين المساحة الواقعة أمام جدار البراق على أعمال البر والخير، كما حبس حارة المغاربة التي على ساحة الجدار على زاوية الإمام الصوفي "أبو مدين الغوث" لإيواء المغاربة. ومع ازدياد

نفوذ القناصلة الأجانب في القرن التاسع عشر حاول اليهود عن طريق قنصل الإنجليز وضع اليد على حائط البراق، فقدموا طلباً لتبليط الزقاق أمام البراق في أيام محمد علي باشا سنة 1255هـ/1839م وقد رفض طلبهم وتكرر ذلك بعد الاحتلال البريطاني 1891م وادعوا في 1929 حقوقا في البراق وعرض الأمر على لجنة دولية رفضت طلبهم.[52]

المدارس: تعرضت الكثير من المدارس التاريخية الوقفية في مدينة بيت المقدس، خاصة تلك التي تقع في محيط المسجد الأقصى إلى التهويد المقنن والمخطط، ومن أهم تلك المدارس المدرسة التنكزية والمدرسة التنكزية والمدرسة الأفضلية. وتقع المدرسة التنكزية قرب باب السلسلة، غرب المسجد الأقصى، ويقوم قسم منها على الأروقة الغربية، واقفها الأمير تنكز الناصري توفي سنة(741هـ) نائب الشام،[53] أنشأها ووقفها (729هـ/ 1328م) في زمن السلطان قايتباي، كما أنشأ مسجداً لها، على واجهتها الخارجية يوجد نقش يشير إلى بانيها: "بسم الله الرحمن الرحيم. أنشأ هذا المكان المبارك راجيا ثواب الله وعفوه المقر الكريم السيفي تنكز الملكي الناصري عفا الله عنه وأثابه. وذلك في شهور سنة تسع وعشرين وسبعماية". وكان في داخلها مسجدا يوجد عليه نقش كالتالي: "البيت الحرام أول مسجد وضع على وجه الأرض واختار لعبادته مواطن لإقامة السنن والفرائض وجعل هذا المسجد جار المسجد الأقصى ونعم الجار الطاهر، وأجرى لبانيه جزيل الثناء والثواب الوافر، لقوله تعالى: إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر. اختار لعمارة بيوته من رضي فعله وقوله وأطال بالسعد والبذل طوله". وقد اتخذت المدرسة مركزاً للقضاة والنواب ودار سكن لهم، ثم عادت لتقوم بدورها الفكري (أواخر القرن 10هـ/16م). وتتميز ببنائها المزخرف، وتعد من أجمل مباني القدس القديمة، وعلى بابها شعار الأمير تنكز، وهو كأس ذو رأس مدبب وقاعدة عريضة. وقد حولت إلى مقر للمحكمة الشرعية في العهد العثماني، وبقيت كذلك في أوائل الاحتلال البريطاني، ثم اتخذت داراً لسكن رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الحاج أمين الحسيني وصارت مدرسة لتعليم الفقه الإسلامي. واستولت عليها السلطات الصهيونية عام 1969م بحجة أن نوافذها تطل على البراق وحارة اليهود، وأجرت حفريات تحتها هددتها بالانهيار.

ولا يظهر وضع المدرسة التنكزية الحالي التي يحظر الصهاينة على أي أحد الدخول إليها، إنه كان لها تاريخ تعليمي أو ثقافي، فهي أصبحت ثكنة عسكرية يحتلها الجيش الصهيوني ويغلق أبوابها ويقيم على أسطحها المتاريس وينصب الرشاشات والأسلحة. وبسبب موقعها المطل على ساحات المسجد الأقصى التي عادة ما تشهد تظاهرات ومسيرات ضد سياسة الاحتلال، فإن الشرطة الصهيونية ووحدات حرس الحدود والجيش يستخدمونها لقمع أولئك المتظاهرين. ومن فوقها شارك جنود الاحتلال في ارتكاب مجازر ضد المتظاهرين والمصلين مثلما حدث عام 1996م فيما عرف بانتفاضة النفق، التي اندلعت احتجاجا

على قيام حكومة بنيامين نتنياهو آنذاك بفتح نفق يمر من تحتها أطلق عليه اسم (نفق الحشمونائيم). وفي شهر آذار (مارس) 2006م، افتتح الرئيس الصهيوني كنيسا يهوديا أسفل المدرسة التنكزية، وبعد أشهر واصل المحتلون استهدافهم للمدرسة، فافتتحوا ما أطلقوا عليه اسم (متحف قافلة الأجيال) مكون من سبع غرف يعرض فيها تاريخ بيت المقدس من وجهة نظرة صهيونية، بواسطة وسائط إيضاح وعروض الصوت والضوء. أما المدرسة الأفضلية فتقع جنوب غرب المسجد الأقصى عند حارة المغاربة، وكانت قديماً تعرف باسم "القبة" أنشأها سنة (589هـ/1193م) الملك الأفضل نور الدين علي بن صلاح الدين ووقفها على فقراء المالكية الذين قدموا إلى بيت المقدس،[54] وكانت في العهود الأخيرة مسكناً لفقراء المغاربة. وقد أزالتها الجرافات الصهيونية عام 1967م.

المكتبات: ومن المكتبات الوقفية التي طالتها يد التهويد مكتبة المدرسة الفخرية والمكتبة التنكيزية، حيث استولت سلطات الدولة العازل على الأولى في 1969/6/16، وعلى الثانية في 1969/6/24 وحولتهما إلى موقع عسكري.[55] كما هدم الاحتلال مكتبة الخانقاه الفخرية،[56] التي وقفها القاضي فخر الدين محمد بن فضل الله المتوفى سنة (1331م). وكانت هذه المكتبة غنية بمخطوطاتها الدينية والفلكية التي وصل عددها عشرة آلاف مجلد.[57]

الأربطة والزوايا: لم تسلم الأربطة والزوايا من حملة التهويد المبرمجة منذ احتلال المدينة المقدسة، والأربطة هي جمع رباط وهو الإقامة في الثغور، وهي الأماكن التي يخاف على أهلها من الأعداء، والمرابط هو المقيم فيها المعد للدفاع عنها. وقد أسست أول الرُبط العسكرية في فلسطين في القرن الثاني للهجرة، والرُبُط لم تكن كلها عسكرية بعد دحر الفرنجة، وخاصة في مدينتي بيت المقدس والخليل، بل كان الهدف الأساسي منها توفير أماكن لإقامة الزوار والحجاج، والكتابات الباقية على بعض هذه الربط تدل على أنها أنشئت لهذا الغرض، وكانت الرُبط تغذي الوافدين إليها بالتعليم الديني. وفي العصر العثماني أصبح كثير من الرُبط ملاجئ للفقراء، نساء ورجالا، يقدم لهم فيها الطعام وتصرف المساعدات المختلفة. كما كانت الرُبط مراكز للتعليم الصوفي، بالإضافة إلى مهامها الاجتماعية والسياسية، وكان في بعضها مكتبات، فكان للرُبط بفلسطين بشكل عام، وفي بيت المقدس بشكل خاص أثر علمي أكاديمي عظيم.[58]

ومن أهم الأربطة التي طالتها يد التهويد رباط كرد وهو رباط يقع بباب الحديد ملاصقا لسور الحرم، يرجع تاريخ إنشائه إلى القرن السابع الهجري، فقد بناه المقر السيفي كرد صاحب الديار المصرية سنة 693، ولا يزال مبناه قائما إلى الآن، وتسكنه اليوم بعض العائلات المقدسية، وقد أصيب المبنى بأضرار من جراء الحفريات الإسرائيلية وانهار جزئيا سنة 1971، مما تطلب تركيب دعامات له.[59] جاء في بيان الحاخام الصهيوني الأكبر إسحاق نسيم: *"حائط المبكى الصغير داخل في داخل رباط الكرد واستمرار*

الكشف عنه واجب ديني كبير.. نريد تنظيف المنطقة من جميع المباني التي ألصقت وأقيمت بقصد وبإقرار رؤساء الدين المسلمين المتعاقبين" .

وتعد السيطرة على رباط كرد حلقة من حلقات إحكام السيطرة على محيط المسجد الأقصى المبارك، مما يسهل على الاحتلال القيام بحفرياته تحت المسجد، حيث أن قرب هذا الرباط من المسجد الأقصى يمكن المستوطنين من استكمال الحفريات على مقربة من المسجد الأقصى لأجل دخوله بسهولة، بدل حفر الأنفاق على مسافات بعيدة عنه. ويعد مخطط سنة 2011 أهم مخطط في سلسلة تهويد محيط المسجد الأقصى، حيث سعت حكومة الاحتلال إلى توسيع ساحات رباط كرد لاستقبال أكبر عدد ممكن من المصلين اليهود الذين يقومون بأداء طقوس تشبه تلك التي يؤدونها عند حائط البراق، بالمقابل منعت الفلسطينيين من ترميم ما تهدم من الرباط بسبب الحفريات، وهذا ما أدى إلى تناقص أعداد العائلات التي تسكنه.[60]

المقابر: حتى المقابر لم تسلم من التهويد في بيت المقدس، إذ لا يعير الاحتلال الصهيوني أدنى احترام أو أهمية لقدسية وحرمة المقابر، ومن بين المقابر التي تعرضت للتدمير أو التجريف بغرض إقامة منشآت عليها تمهيدا لتهويد مكانها: مقبرة الرحمة ومقبرة مأمن الله، أهم وأقدم مقبرتين بمدينة بيت المقدس. تعد مقبرة مأمن الله من أكبر المقابر وأهمها في المدينة المقدسة، إذ تضم رفات صحابة وتابعين وشهداء ومجاهدين وصالحين، ولأن الاحتلال الصهيوني لا يعطي أدنى قيمة لحرمة الموتى وقدسية المدافن كونه أساسا لا يعطي قيمة لحقوق الأحياء، فقد قام بمصادرة أجزاء من المقبرة محولا طرفها الغربي إلى منتزه، وجزء آخر إلى مدرسة وثالثا إلى مرآب للسيارات ومن المفارقات السافرة إنشاء متحف اسمه متحف التسامح على جزء من المقبرة! كما وتعتبر مقبرة مأمن الله أقدم مقبرة إسلامية في بيت المقدس ولربما أقدم المقابر الإسلامية في فلسطين، وقد سجلت رسميا سنة 1938 كأرض وقف إسلامي تبلغ مساحتها 136 دونما، في سنة 1948 بعد احتلال الشطر الغربي من مدينة بيت المقدس –وفي البداية– تظاهرت سلطات الاحتلال الصهيوني باحترام الموقع، زاعمة أنها تدرك تماما أهميته وقدسيته، غير أنها وفي ستينات القرن الماضي —وبعد احتلال الشطر الشرقي المتبقي من المدينة المقدسة– بدأت بسلسلة الانتهاكات المنظمة للمقبرة، بعد أن حولتها إلى ملكيتها وفق حيل قانونية أشرنا إلى بعضها في موقع سابق من هذا البحث، وبذلك أصبحت المقبرة موقعا للعديد من المشاريع (منتزه، مدرسة، مرآب سيارات، متحف، وأخيرا مجمع محاكم) مع أعمال تجريف في الطرف الغربي منها، وتهديم لشواهد القبور في الطرف الشرقي، وإهمال لباقي الأجزاء منها مما جعلها وكرا لبعض الأنشطة غير القانونية من تعاط للمخدرات وممارسة للبغاء واقتراف للرذائل الأخرى، ومن المعروف والموثق أنه أثناء عمليات الهدم والتجريف والبناء على أرض المقبرة تم

إخراج رفات مئات الأموات ونقلها إلى مواقع غير معلومة، دون أي محاولة لاستشارة المسلمين أو استئذان الأوصياء الشرعيين على المقبرة.[61]

أما مقبرة باب الرحمة فتقع عند سور المسجد الأقصى من الشرق، فيها قبور عدد من الصحابة والمجاهدين الذين اشتركوا في فتح بيت المقدس أثناء الفتحين العمري والصلاحي، تعرضت مقبرة باب الرحمة لعملية تجريف بعمق متوسطه عشرة أمتار لتوسيع طريق مُعبَّد ليكون طريقاً التفافياً يستعمله المستوطنون اليهود للوصول إلى البؤر الاستيطانية بباب المغاربة وقرية سلوان، وقامت حكومة الاحتلال في وقت لاحق بهدم جدار في المقبرة ملحقة أضرارا كبيرة بالقبور بحجة أن المسلمين يقومون بتوسيع المقبرة، بالإضافة إلى الحفريات المتعددة في المقبرة للوصول من خلالها للمسجد الأقصى.[62] سعت قوات الاحتلال الإسرائيلي بمختلف أذرعها (الجيش، وزارة الداخلية، بلدية القدس الإسرائيلية، وزارة الآثار، الخ)، لتطبيق مخطط صهيوني خطر يعرف بـ "الحوض المقدس"، بهدف ضم البلدة القديمة وما يحيط بها، يمتد المشروع من حائط البراق إلى باب الزاهرة في البلدة القديمة، ويتضمن الاستيلاء على الكثير من الأراضي الوقفية الإسلامية منذ سنة 2004 خططها لبناء "حديقة وطنية" على أنقاض البيوت المقدسية في المنطقة، وفي أوائل سنة 2009 تلقت 134 عائلة مقدسية تسكن في 88 منزلا إخطارات بهدم منازلها، بدعوى أن المنازل مشيدة من دون ترخيص.[63]

مخاطر تهويد الأوقاف بمدينة بيت المقدس وسبل حمايتها:

عرضنا في المحور السابق بعض الأمثلة والنماذج عن الأوقاف الإسلامية التي تعرضت للتهويد، ويمكننا أن نستنتج من خلال ذلك أهم المخاطر التي يشكلها التهويد على أوقاف مدينة بيت المقدس، ولعل أعظم تلك المخاطر يتمثل في تخريب المسجد الأقصى المبارك وتدميره بشكل نهائي؛ لإقامة الهيكل المزعوم، وإن كنا نعتقد أن الله يحمي بيوته، فإن هذا الخطر ليس ببعيد ولا مستحيل، والدليل على ذلك أنه لما تم إحراق المسجد الأقصى في سنة 1969 كان اليهود يتخوفون من رد فعل العرب إزاء ذلك التصرف الشنيع، غير أن لا شيء حدث إذ لم تتعدى ردود فعل العرب والمسلمين الاستنكار والتنديد، ومنذ ذلك التاريخ وسلطات الاحتلال الصهيوني تطلق يدها على المقدسات في بيت المقدس، فتعيث فسادا وتخريبا عن طريق الحفريات والأنفاق، وإلى اليوم تكاد تكون هناك مدينة موازية تحت المسجد الأقصى ومحيطه، تهدد أعمدته بالسقوط وأساساته بالتهدم، وثمة وجه آخر لا نكاد نعرفه نحن العرب والمسلمون تسوق وتروج له العصابات الصهيونية حكومة وجيشا ومنظمات مدنية، تقدمه للسائحين من مختلف بقاع العالم، وجه يهودي الملامح لا أثر فيه لأي ملامح إسلامية.

إن الخطر الذي تشكله سياسة التهويد على الأوقاف الإسلامية ينذر بضياع تاريخنا العربي الإسلامي في المدينة المقدسة، والذي ظل يقاوم على مدار قرون طويلة، إذ ورغم تعرض المدينة المقدسة للاحتلال الصليبي قرابة مئة عام، إلا أن ذلك الاحتلال لم يكن يملك من الإمكانيات لمحو ذلك التاريخ الطويل مثلما يملكه الاحتلال الصهيوني اليوم من دعم وإمكانيات، تستجلبهما من مختلف دول العالم ومنظماته عقيدة توراتية تقوم على إعادة بناء الهيكل ليعود المسيح.

ثم إن الخطر الذي يهدد الأوقاف الإسلامية بمدينة بيت المقدس لا يكمن في سياسة التهويد التي تسعى لمحو كل ما ليس يهوديا بالمدينة المقدسة فحسب، وإنما يكمن في جهل وتغافل العرب والمسلمين عما يحدث. وهذا يقودنا إلى الحديث عن سبل حماية أوقاف بيت المقدس وفي مقدمتها المسجد الأقصى المبارك، والتي يمكن أن نلخصها في:

- صناعة استراتيجية متكاملة يتداخل فيها السعي القانوني بالبحث العلمي الأكاديمي، تقوم بحصر الأوقاف الإسلامية ببيت المقدس، مما ما يزال قائما منها ومما اندثر لسبب أو لآخر.
- إحياء صندوق القدس، الذي أقرته الجامعة العربية في مؤتمر القمة العربي المنعقد في بيروت عام 2002 لدعم صمود المقدسيين، وإحياء الأوقاف الإسلامية بإعادة ترميمها وإعادة تشغيل ما يلزم منها.
- تدويل قضية الأوقاف الإسلامية ببيت المقدس في المحافل الدولية ولدى المنظمات الدولية والإقليمية، بكشف ما تتعرض له تلك الأوقاف من تدمير وتهويد.
- إحياء ثقافة الوقف الإسلامي لدى الشعوب ومؤسسات المجتمع المدني في العالم الإسلامي، بإنشاء مؤسسات وقفية على غرار وقف مشروع دراسات بيت المقدس، مما يشكل دعما ماديا ومعنويا لمدينة بيت المقدس وأوقافها.
- الإسراع في مطالبة الأمم المتحدة بتطبيق قراراتها المتعلقة بمدينة بيت المقدس والمسجد الأقصى وكافة المقدسات، الصادرة منذ عام 1967، والتي تدعو بمجملها إلى وقف الاستيطان وتفكيك المستوطنات، وبطلان التغييرات، مع العمل على استصدار قرارات أممية ملزمة للعدو الصهيوني تقضي بحماية الأوقاف الإسلامية من الاعتداءات المتكررة، والسماح لأصحابها وللقائمين رسميا عليها بترميمها.

خاتمة وتوصيات

وضحت الباحثة من خلال هذه الورقة العلمية سياسة التهويد التي يطبقها الاحتلال الصهيوني على مدينة بيت المقدس منذ احتلالها الكامل سنة 1967، ثم عرفت الوقف وأقسامه وأشارت إلى أهم الأوقاف التي زخرت بها مدينة بيت المقدس على مدار عصور تاريخية متنوعة، وإذ لم تتمكن من حصر كل الأوقاف التي تشمل الأوقاف الذرية والخيرية، والتي كانت تغطي جميع مجالات الحياة في مدينة بيت المقدس، فقد

عرضت الباحثة أهم الأوقاف بدءا بالمسجد الأقصى المبارك ثم أهم المدارس والزوايا والمكتبات في محيطه، ومن ثم ركزت على أهم الأوقاف التي طالتها يد التهويد بالهدم أو الحفريات وبناء الأنفاق أو التجريف، مقابل تهجير السكان وبناء المستوطنات والسماح للجماعات اليهودية المتطرفة بتدنيس الأماكن المقدسة، كل ذلك سعيا لتقويض المسجد الأقصى المبارك وإقامة الهيكل المزعوم مكانه، ومحو كل ما له علاقة بالهوية الإسلامية للمدينة المقدسة، وما الأوقاف الإسلامية إلا رمز من رموز تلك الهوية، وهذا ما يفسر الحقد الدفين الذي يتعامل به الصهاينة مع تلك الأوقاف؛ إذ لم يستثنوا منها حتى المقابر التي تضم رفات الأموات، التهويد لم يدع مجالا للمقدسيين الأحياء ليستقروا في منازلهم ومدارسهم وأربطتهم ومساجدهم، كما لم يدع المقدسيين الأموات يرقدون بسلام في مقابرهم.

وفي ختام هذه الورقة العلمية تتوجه الباحثة بمجموعة من التوصيات، تلخصها في الآتي:

- دعوة الباحثين وطلاب الدراسات العليا بشكل خاص للاهتمام بالموضوعات البحثية المتعلقة بمدينة بيت المقدس، الواقع أن هناك جهودا علمية بذلت على مدار العقود السابقة غير أننا نحتاج إلى المزيد، لأن مدينة بحجم بيت المقدس قداسة وبركة وأهمية تستحق أن نعرف عنها أكثر، وأن نركز جهودنا العلمية في أبحاث موسوعية كتلك التي قدمها أسلافنا الأوائل من أمثال العليمي، وأسلافنا الأواخر من أمثال العسلي رحمهم الله ورضي عنهم.
- دعوة الهيئات العلمية الأكاديمية إلى عقد مؤتمرات علمية تهتم بمدينة بيت المقدس وبكل القضايا والإشكالات التي ترتبط بها ومنها الأوقاف، حيث فوجئت الباحثة بشح علمي أكاديمي في هذا المجال، حيث لم تجد من بين الجامعات الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي جامعة واحدة عقدت مؤتمرا واحدا يتعلق بأوقاف بيت المقدس منذ احتلال المدينة إلى اليوم.
- دعوة الباحثين المهتمين ببيت المقدس من داخل فلسطين إلى التعاون مع زملائهم الباحثين من خارجها لتبادل المعلومات والوثائق التي توجد مصادرها ببيت المقدس، مما يسهل الحصول عليها ودراستها ونشرها.
- دعوة الباحثين المهتمين ببيت المقدس المتقنين للغة التركية والانجليزية سواء كانوا عربا أو أعاجم إلى ترجمة الوثائق التي تخص أوقاف بيت المقدس الموجودة بالسجلات العثمانية؛ قصد جعلها متاحة للباحثين العرب والأجانب.
- دعوة الهيئات العلمية ووزارات التعليم في الوطن العربي لتأليف وإعداد برنامج دراسي يقدم للأجيال الحالية من الأطفال والشباب، الذين لا يكادون يعرفون شيئا عن مدينة بيت المقدس وعما تتعرض له من تهويد مبرمج ومخطط، مع تقديم مقترحات لإنجاز وتطوير برامج إعلامية قارة ومستمرة ومحيّنة لمختلف وسائل الإعلام العربية، تتابع ما يجري لأوقاف بيت المقدس من تهويد ولمعالم المدينة المقدسة من طمس وتشويه.

الهوامش

[1] عارف باشا العارف: **تاريخ القدس**، دار المعارف، القاهرة، ط2، 1951، ص 185.

[2] محمد الجزري بن الأثير: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، دار ابن الجوزي، جدة- الرياض، ط1، 1420، ص 717.

[3] روى البخاري في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام. قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى. قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة.(حديث متفق عليه). ينظر **صحيح البخاري**، ج4، ص 117.

[4] محمد عثمان شبير: بيت المقدس وما حوله، مكتبة الفلاح، الكويت، ط1، 1987، ص 10.

[5] محمد أكرم العدلوني: مقدمة كتاب مستقبل القدس بين واقع الاحتلال ومسؤولية الإنقاذ، مؤسسة القدس، بيروت، 2002، ص1.

[6] عبد الوهاب المسيري: **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، ج4، دار الشروق، القاهرة، ص1952.

[7] رياض حمودة ياسين، أمجد ممدوح الفاعوري: **تاريخ القدس السياسي والحضاري**، دار وائل ، عمان، ط1، 2012، ص 112.

[8] الشيخ عكرمة سعيد عبد الله صبري (1939) مفتي بيت المقدس والديار الفلسطينية. تم تعيينه في أكتوبر 1994 حتى إحالته على التقاعد في 2006 لمواقفه الصارمة وغير الموالية للحكومة، وقد شارك الشيخ عكرمة في العديد من المؤتمرات والندوات، وعرف بمشاركته في الكثير من النشاطات والفعاليات المناهضة. وقد تعرض مراراً للنقد والمضايقة والاستجواب والاعتقال من قبل سلطات الاحتلال الإسرائيلي.

[9] عكرمة صبري: **عملية تهويد القدس**، برنامج ضيف وقضية، قناة الجزيرة الفضائية، تاريخ الحلقة: 1999/10/19.

[10] تيودور هرتزل (1860–1904) صحفي يهودي نمساوي مَجَرِيٌّ، مؤسس الصهيونية السياسية المعاصرة. ولد في بودبست وتوفي في إدلاخ بالنمسا، عمل في الصحافة وألف كتاب "دولة اليهود" الذي يعتبر الأرضية التي قام عليها أول مؤتمر للصهيونية العالمية في بال السويسرية سنة 1897.

[11] محسن محمد صالح: معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي، مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات، بيروت، ط1، 2011، ص 10.

[12] عبد الوهاب الكيالي: **موسوعة السياسة**، ج4، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط3، 1995، ص 762.

[13] موسى مونتفيوري: (1784–1885)، ثري ومالي بريطاني يهودي، زعيم الجماعة اليهودية في إنجلترا، ومن كبار المدافعين عن الحقوق المدنية لليهود في إنجلترا والعالم. وُلد في بريطانيا لأسرة إنجليزية ذات أصول إيطالية سفاردية استقرت في إنجلترا في القرن الثامن عشر. وبدأ عمله كسمسار في بورصة لندن حيث حقق ثراءً سريعاً. (ينظر لمزيد من التفصيل: عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، مج5.

[14] كمال محمد محمد الأسطل: **مستقبل القدس في ظل السياسات والإجراءات الهادفة لتغيير الواقع الجغرافي والديمغرافي في المدينة بعد عام 1967**، بحث مقدم لمؤتمر القدس السابع:" الاستيطان الإسرائيلي في القدس واقع وتحديات"، نوفمبر 2005، كلية الآداب جامعة النجاح الوطنية، نابلس، ص 65.

[15] رحبعام زئيفي 20 يونيو 1926 _ 17 أكتوبر 2001، سياسي إسرائيلي شغل منصب وزير السياحة الإسرائيلي، كان ينادي بفكرة الترانسفير وهو مصطلح إنجليزي بالإنجليزية transfer ويعني الترحيل، والمقصود هو ترحيل كل ما هو عربي في فلسطين إلى البلدان العربية الأخرى عوضاً عن بقائهم في فلسطين، تم اغتياله من قبل أفراد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. (28/04/2018) https://ar.wikipedia.org/wiki/الجبهة_الشعبية_لتحرير_فلسطين

[16] أنور محمد زناتي: **تهويد القدس – محاولات التهويد والتصدي لها من واقع النصوص والوثائق والإحصاءات–** مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت،ط1، 2010، ص 17.

[17] محسن صالح: **معاناة القدس والمقدسات تحت الاحتلال الإسرائيلي** (سلسلة أو لست إنسانا)، بيروت، مركز الزيتونة الدراسات والاستشارات، ط1، 2010، ص 84.

[18] عبد الجليل عبد الرحمن العشوب: **كتاب الوقف**، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2000، ص9.

[19] محمد بن أحمد بن صالح الصالح: **الوقف في الشريعة الإسلامية وأثره في تنمية المجتمع**، مكتبة الملك فهد، الرياض، ط1، 2001، ص 53.

[20] المرجع نفسه، ص 54.

[21] المرجع نفسه، ص 55.

22 سعدات جبر: **الوقف الإسلامي من القرآن والسنة**، بحث مقدم للمؤتمر الخاص بالأوقاف الإسلامية بفلسطين، جامعة القدس المفتوحة 2011، ص 12-15 ، متاح على الموقع التالي، تاريخ الزيارة: (2018/12/20):
http://www.qou.edu/home/sciResearch/researchersPages/sadatJaber/r2_drSadatJaber.pdf

23 دلالي الجيلالي: **دور الوقف في النهضة العلمية والثقافية –قراءة في التجربتين الإسلامية والغربية–**، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، ع17، جانفي 2017، (139-151)، ص 143.

24 مصطفى عبد الغني: **الأوقاف على القدس**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2006، ص 30.

25 محسن محمد صالح وآخرون: **دراسات في التراث الثقافي لمدينة بيت المقدس**، مركز الزيتونة، بيروت، ط1، 2010، ص 219-222.

26 القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج04، القاهرة، المطبعة الأميرية، 1922، ص 72.

27 زبيدة محمد عطا: **عروبة فلسطين من واقع وثائق الأوقاف المقدسية**، عين للدراسات والبحوث الاجتماعية والإنسانية، القاهرة، ط1، 2007، ص83.

28 المرجع نفسه، ص 117،118.

29 المرجع نفسه، ص 24-26.

30 محسن صالح وآخرون، مرجع سابق، ص 222.

31 مجير الدين الحنبلي العليمي، **الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل**، ج1، ت: محمود عودة الكعابنة، مكتبة دنديس، الخليل/ عمان، ط1، 1999، ص 100.

32 المصدر نفسه، ج2، ص 50.

33 المصدر نفسه، ج2، ص 52.

34 كامل جميل العسلي: **وثائق مقدسية**،ج2، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ط1، 1985، ص 219.

35 المصدر نفسه، ص 226.

36 أحمد حسين عبد الجبوري: **القدس في العهد العثماني** (1640-1799)، ج2، دار الحامد، عمان، ط1، 2011، ص 326، 327.

37 المرجع نفسه، ص 335.

38 المدرسة الجوهرية، موقع منظمة التحرير الفلسطينية: دائرة شؤون القدس، (2018/06/12).
http://alqudsgateway.ps/wp/?p=3608

39 أحمد حسين عبد الجبوري، المرجع السابق، ص 335.

40 العليمي، مصدر سابق، ج2، ص 36.

41 العليمي، المصدر السابق، ج2، ص 96.

42 ريحي مصطفى عليان: **المكتبات في مدينة القدس –مراجعة تاريخية–**، ص 126. الدراسة متاحة على الرابط الآتي (2018/06/25):
http://www.culture.gov.jo/sites/default/files/page124_0.pdf

43 إبراهيم أبو جابر: **مستقبل القدس وسبل إنقاذها من التهويد**، ص 16. الكتاب متاح على الرابط الآتي:
https://qudsinfo.com/wp-content/uploads/2016/12/qudsFuture.pdf

44 عزام أبو السعود: **الأوقاف العائلية في القدس**، موقع أخبار البلد (2018/05/18) http://www.akhbarelbalad.net/

45 ابن حوقل: **صورة الأرض**، بيروت، دار مكتبة الحياة، دط، 1992، ص 158.

46 أخرجه الإمام مسلم في صحيحه: كتاب الحج، باب 95 ، حديث 1397.

47 العليمي، مصدر سابق، ص280، 281.

48 المصدر نفسه، ص239.

49 **مستقبل مدينة القدس في ظل التهويد**، التقرير الاستراتيجي الثامن، ص 226.

50 عبد الفتاح محمد العويسي: **بيت المقدس في خطر (القدس بين التهويد والطمس)**، مجلة السنة، ع100، تشرين الثاني 2010، متاح على موقع (2018/4/1): http://sunah.org/main

51 مصطفى عبد الغني، مرجع سابق، ص 190.

52 زبيدة محمد عطا، مرجع سابق، ص 106.

53 العليمي، مصدر سابق، ج2، ص35.

54 العليمي، المصدر السابق، ج2، ص46.

55 عبد الحميد جمال الفراني: **الأوقاف الإسلامية في فلسطين في العصر الإسلامي**، بحث مقدم لمؤتمر مؤتمر فلسطين الدولي للأوقاف الإسلامية ودورها في مواجهة التحديات الصهيونية الذي تنظمه هيئة علماء فلسطين بالخارج بالتعاون مع دار الفتوى بالجمهورية اللبنانية21-13 يوليو 2011م، ص70.

56 عدنان أبو عامر، مرجع سابق، ص 52.

57 ريحي مصطفى عليان، **المكتبات في مدينة القدس**، متاح على موقع الألوكة (2018/4/2):
http://www.alukah.net/library/0/466/#ixzz5Ju91d6fG

58 **الرباطات في القدس من المهمات العسكرية إلى الاجتماعية**، موقع الجزيرة نت (2018/4/2):
http://www.aljazeera.net/news/alquds/2018/6/23

59 كامل جميل العسلي، مصدر سابق، ص 229.

60 جمال محمد إبراهيم: **رباط الكرد والاعتداءات الإسرائيلية عليه**، مجلة جامعة فلسطين للأبحاث والدراسات، ع6، يناير 2014، المقال كاملا متاح على الرابط الآتي: https://platform.almanhal.com/Reader/2/66591

61 رشيد الخالدي: **القدس تاريخ المستقبل**، تر: عبد الرحيم الشيخ، رام الله، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط1، 2010، ص xiv, xv,xvi.

62 محمد أبو طربوش: مقابر القدس الإسلامية.. الضحية المنسية للتهويد، متاح على الرابط الآتي (2018/06/22):
http://alquds-online.org/index.php?s=articles&id=460

63 جاد إسحاق، أحمد الأطرش: أسرلة القدس، ضمن كتاب **القدس تاريخ المستقبل**، المرجع السابق، ص 360.